

اجتماع الملائكة

في مسجد الفردوس

للنعمت في نكتة آدم الجبر

للدكتور زكي مبارك

سمع للملائكة بما صار إليه أمر آدم ، وعرفوا أنه سيقدّم للمحاكمة بلا تسويق ، وراعى إليهم أنه قد يتخذ منهم شهوداً على برائه من تهمة المصيان . فاجتمعوا بمسجد الفردوس ليتشاوروا فيما يليق بهم أن يصنعوه إن دُمي فريق منهم للشهادة في ساحة العدل ... فالقى دار من الأحاديث في ذلك الاجتماع ؟ قبل أن ندون هذا الشهد نذكر أن شيث بن عريانوس يدير كلامه على أساس يخالف ما عارف عليه جمهور المؤرخين ، فهو لا يرى أن آدم صاحب حواء كان أول آدم ، وإنما سبقته أودام تمد بالظن أو بالألوف . وسرى كيف يحدثنا أن آدم حين هبط الأرض وجد فيها جاجم بشرية تشهد بأن الأرض سكنت قبله بأدم لا يعرف أخبارها غير علام النيوب وقد هالتني هذا الرأي ، فضيت أستفتي المؤلفات الإسلامية لأعرف حظه من الصحة أو البطلان ، فإذا وجدت ؟

رأيت من يحكم بأن في قول الملائكة : « آجمل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء » دليلاً على أنهم رأوا قبل ذلك أجناساً آدمية تفسد في الأرض وتسفك الدماء . ورأيت من يجعل « الخليفة » في قوله تامل : « إني جعل في الأرض خليفة » آدم جديداً يخلف الأودام القدماء^(١)

ومع أن هذه الأقوال لا تستند إلى نص قلمي الثبوت والدلالة — كما قل أستاذنا الشيخ عبد الوهاب النجار ، رضي الله عنه وأرضاه — فهي تؤيد مذهب شيث بن عريانوس ، أو يجعله مذهباً لا يتأتم الباحث من الاعتماد عليه وهو يقص أخبار آدم الرسول

(١) آدم في هذه العبارة ممنوع من الصرف لوصفية ووزن النسل ، فيرى بند قليل أن هذه العبارة مريبة الأصل

والحق أن عبارة القرآن وعبارة التوراة صريحان في أن آدم صاحب حواء هو أبو البشر . وعبارة القرآن أصرح في هذا المعنى ، فلألوف في أسلوب القرآن أنه ينهى كل نبي عن الوقوع فيما وقع فيه من سبقوه . ولو أن آدم كان سبق بأدم بأئمة لنص الله عليه أخبارها كما صنع مع سائر الأنبياء ، فلم يبق إلا أن نعت شيث بن عريانوس مستولاً عن القول بأن آدم صاحب حواء ليس أول إنسان شهد هذا الوجود

وظهر أن كتاب شيث كان معروفاً في بعض البيئات الإسلامية قبل أزمان طوال ، فقد رأينا أبا الملاء المرى يقول : جازم أن يكون آدم هنا قبله آدم على إثر آدم ويقول :

وما آدم في مذهب العقل واحداً ولكنه عند القياس أودام ويقول في شيء من الخبث :

قال قوم ولا أدب بما قالوه : إن ابن آدم كان عرس جهيل الناس من أبوه على الدهر ولكنه مستمى بحرس في حديث رواه قوم قوم رهن طرس مستنسخ إرطرس ولعل « الطرس » القى عناء أبو الملاء هو كتاب شيث ابن عريانوس واسمه « تاريخ البشرية » وإن لم نجد فيه ذلك الاستهزاء البنيض

وقد أسرف أبو الملاء في الغرض من شأن آدم حين يقول : قالوا وآدم مثل أوبر ، وابنه . كبتناه ، جهيل امرؤ ما أوبر وهو قول لا يستمد على بيته ولا برهان . وأسخر منه زعم فريق من قساة المنود بأن آدم كان عبداً من عبيدهم ثم هرب إلى القرب ، ولم يمد إليهم إلا حين أتته تكاليف الأبناء

وبهذه المناسبة أقول : كان للمرحوم مصطفى كمال زعم أن آدم وحواء من أصل تركي ، وقد أزعجني هذا الزعم الفظيع ، فكتبت إليه خطاباً أثبت فيه أن آدم وحواء من أصل عربي ، بشهادة الاشتقاق ؛ فأدم على وزن أفضل ، من الأدمة وهي السمرة المشبعة بالسواد ، وحواء على وزن فلاء ، من الجلوة وهي سمرة الشفتين ، ثم رجحت أنهما من أهل نجد ، بدليل ما في أشعار آدم من الإقواء . وقد انتظرت أن يجيبني مصطفى كمال — غفر الله له —

أن يدور الكلام بلا ترتيب ولا تنسيق ، على أسلوب الغابات
لا أسلوب البساتين
— ماذا تريد ؟

— أريد أن يكون كلامنا طبيعياً على نحو ما تكون الغابة ،
ولا أريد أن يكون منسقاً على نحو ما يكون البستان ، فالقطرة
في الغابات أقوى من الجمال المصنوع في البساتين

ثم دار الحديث على الصورة الآتية بلا تمييز بين الآراء (١) :

— أرايت كيف صحت فراسدتنا في آدم فعصى ربّه وغوى ؟

— تريد الرجوع إلى التاريخ القديم يوم حاورنا الله في خلق

« آدم » ؟

— هذا ما أريد

— ولكن فإني أن مضغ حوادث التاريخ عمل ضائع ،

فأقدم خُلق بالفضل ، وهو شرٌّ موجود ، أو خيرٌ عتيد ، وللهم

هو أن نحدد موقعنا بالنسبة إليه

— نحن من نور وهو من طين

— ولكنه أحدث في الجنة زلزلة لن نستطيع مثلها أبداً ،

وستجعل له مكانة في التاريخ

— تحسده على ذلك ؟

— ومن أحسد إذا لم أحسد آدم ؟ فنحن جميعاً موكلون

بمدّ ما له وما عليه ، مع أنه خُلق من طين ، فهل تكون للطين

فاعلية يخفى علينا سرها المكتون ؟

— إن تحقير الطين بدعةٌ أذاعها إبليس اللعين ، ويكفي

الطين شرفاً أنه أصل آدم

— وآدم مخلوقٌ شريف ؟

— بالتأكيد

— وبرغم العصيان ؟

— أي عصيان ؟

— الأكل من شجرة التين

ولكنه لم يضل . فسألت بعض الأثراك القيمين بالقاهرة فأخبروني
أن مصطفي كمال لم يكن قبل الاطلاع على خطاب مكتوب بالحروف
الغريبة يبد أن فرض على قومه جميعاً أن يكتبوا بالحروف اللاتينية
مالي ولهذا ؟ إنما أريد أن يعرف قرائي أن كتاب شيت
يقوم على أساس القول بأن آدم سبقته أوادم ، ليعرفوا كيف
اشتجر الملائكة وم ينظرون فيما صار إليه بمد العصيان

في مسجد الفردوس

تنادى الملائكة للاجتماع في مسجد الفردوس ، فحضر
فريق وتخلّف فريق ، وكانت حجة من تخلّفوا أنهم أبدوا
رأيهم في آدم قبل أن يُخلّق ، فهم لا يحبون التدخل في أمر
مخلوق شرس لا يرضيه إلا أن يكون الوجود متادح شقاق ونضال
ومسال . وقد خلقه الله برغم رأيهم فيه ، فليصنع الله به ما يشاء .
فهو المنتقم وهو الغفور !

ورأى الذين حضروا أن يسلّوا قبل الكلام في قضية
آدم ، ليزداد تقوسهم صفاء إلى صفاء ، فسلّموا من أوضار
التطاول والإسراف ، فابجوز أن يجلس أحدٌ مجلس القضاء
إلا بعد الصلاة والتفكير ، وبعد التحرر من شوائب الأهواء !
أحد الملائكة — هل ترون أن يكون لهذه الجلسة رئيس ؟
ملك آخر — إنما هلك الأدميون بسبب الرؤساء

ملك ثالث — كنت أحب أن تقول بسبب استبداد الرؤساء
أو تناحر الرؤساء ، فالرياسة مأخوفة من الرأس ، وهو في العرف
مجتمع العقل ، فن الواجب أن يكون لكل جماعة رئيس !

— ولكن ما حاجتنا إلى رئيس ؟ !

— لينتظم الكلام عند اشتجار الجنال

— لا يحتاج للتكلمون إلى رئيس إلا حين تغلب عليهم
شهوة التزوّج ... إن وجود الرئيس هو في ذاته شهادة بضعف
الاجتماع التي يحتاج إليه ، ولو أدّى كل مخلوق واجبه تاديةً
صحيحة لتسارت أقدار المخلوقين . ولن تنجح أمة إلا حين يصبح
كل فرد من أفرادها وهو مهروسٌ لقلعه ورئيسٍ على هواه .
وقد حمانا الله من الأهواء فلن نحتاج إلى رئيس . وعلى هذا أرجو

(١) معنى ذلك أن الحوار الآتي لن يكون دائماً بين شخصين ، وإنما
هو حوار مرسل يقول فيه كل ملك ما يريد ، ويجمع أفعال الملائكة
يصور في جلته آراءهم المختلفة في نكبة آدم الجديد

— لك أن تذكر أن الله يعاقبهم بالاقراض ، ثم يتلطف
 فيخلفهم من جديد ، لحكمة سامية ، وكيف يشيب عنك المنى
 الذى استوجب خلق آدم الجديد فى الفردوس ؟
 — كنت أحب أن أعرف هذا السر العجيب
 — خلقه الله فى الجنة ليأخذ فكرةً عن النظام والترتيب
 والعدل ، وليكون له مثل أعلى يدور حوله حين يقيم مملكته
 الجديدة فى الأرض . ولو أن الله أنشأ الأوامم القديمة هذه النشأة
 لقلّ بين بعضهم على بعض وسلخوا من آفة الاقراض
 — غضبة الله عليهم ، فإ كانوا إلا وحوشاً فى ثياب ناس !
 — هل تذكر بعض أعمالهم القباح ؟
 — أعمالهم القبيحة فوق المد والإحصاء ، ولكنى أرجح
 أن الله لم يعاقبهم بالهلاك إلا حين عاملوه بما لا يليق
 — وكيف ؟
 — كانوا يضيفون إليه أوامر ونواهي لم ينزل بها ونهى ،
 ولا صدرت عن شرع ، ليسوموا رعاياهم سوء المذاب ، باسم الله
 وهم كاذبون
 — كما صنع آدم الجديد ؟
 — آدم الجديد لم يصل إلى ذلك الدرك ، فقد عمى الله
 عن جهل
 — إنما عصاه عن حنقة
 — وما حنقة آدم الجديد ؟
 — قال الله : « لا تقربا هذه الشجرة » فترك « هذه الشجرة »
 بعينها ثم قرب شجرة من ذات الجنس ، وهو يتوهم أن فى هذه
 الحنقة ما ينجيه من العقاب
 — إن آدم حيوان لثيم !!
 — ويلا عقل ، فلو كان يعقل لأدرك أن الله لا تخفى عليه
 خافية من حيل القمهاء ، وسرى كيف يدافع غناً عن إثمه
 فى ساحة العدل
 — لا يئمد أن يرضى الله عن بلاغته وهو بصور اللثيم
 بصورة الجميل
 — الجبال فى نظر الله هو الحلق ، وذلك من يزعم أنه يستطيع

— إنما أراد الله أن يأكل من الشجرة المحرمة لتجد عملاً ،
 ولو زوّج الله آدم عن الماصى لبقينا بلا أعمال . وهل يعيش القضاة
 والحامون والشهود إلا بفضل انحراف الناس عن سواء السبيل ؟
 — إن رأسى يدور من هول ما تقول
 — وهل قلت غير الحق ؟ إن آدم هو مصدر الفاعلية فى جميع
 أرجاء الوجود ، ومن أجل ضلّاه وهداه تُنصب الموازين
 — نحن مقبلون على متاعب جديدة بسبب آدم الجديد
 — وهل أنت راض عن الراحة التى غاينناها بعد اقراض
 آدم القديم ؟
 — شكراً لك ، أيها الرفيق ، قد خطر فى بالى مرة
 أن الله قد يسرح جيوش الملائكة بعد اقضاء مهمتهم فى مراقبة
 السلالات الأدمية
 — أخطأت أخطأت ، فإ كنا جنود شرطة ولا جنود
 استطلاعات ، وإنما خلقنا للتسييح والتقديس
 — خلقنا للتسييح والتقديس ؟ يظهر أنك لم تفهم السخرية
 الملقوفة فى قوله تعالى : « إنى أعلم ما لا تطرون »
 — وكيف سَخِرَ الله منا بهذه المباراة ؟
 — حين عقّب بها على قولنا : « أجمل فيها من يفسد فيها
 ويسفك الدماء ، ونحن نستبح بحمدك وتقديس لك » فهو لا يرى
 التسييح والتقديس أفضل من الإفساد وسفك الدماء ، بدليل أنه
 سكت عما أهمنا به الطبيعة البشرية
 — تأدب أيها الملك ، فأنت فى غفلة عما يئنيه صاحب العزة
 والجبروت ، ولو قضيت دهرك فى الاستغفار لجزت عن محر هذا
 التطاول للمقوت
 — أريد أن أعرف كيف لا يكتفى الله بالتسييح والتقديس ؟
 — وما حاجة الله إلى التسييح والتقديس من أقوام لا تتلج
 فى صدورهم مبادئ الكفر والإيمان ، والشك واليقين ؟ إنما يرضى
 الله من تسييح من يهتدى بعد ضلال ، ويؤمن بعد كفران
 — إن رأسى يدور من هذا التخرج
 — سيم رأسك إن كان لك رأس ، أيها الشرطي الذى
 يريد الإقامة بمنطقة ليس فيها خلائق
 — أنفهم من هذا أن البشر أفضل منا ؟

— لن تكون مثلي إلا حين تصترف اعترافاً صريحاً بأن
الجمال يزيع البصائر والعقول
— ولن أعترف إلا إذا سمع جمهور الملائكة بأن أنهم الله
بالفرض

— ماذا تريد ، يا زنديق ؟

— أريد القول بأن الله خصّ حواء بأشياء

— لتخلو في عيني آدم ، لا في عينيك

— أمركم بحبّ من المحب ، أنتم تعرفون أن الجمال في
ذاته شريعة أذلية ، ولا ينظر إليه إلا أصحاب القلوب ، كالشمس
لا ينظر إليها إلا أصحاب العيون ، ونحن مطالبون بالنظر إلى جميع
ما في الوجود ، لنزداد يقيناً إلى يقين ، فكيف يجب النظر إلى
زهرة نضيرة ولا يباح النظر إلى وجه جميل ؟

— ترك هذه الفلسفة وحدد رأيك في آدم

— هو من الذنبيين

— لأنه غرّبك في حواء ؟

— غرّبتني في حواء ؟ كيف ؟ وهل جُصّنت حتى أهم
بمخلوقة لا تملك غير عينيّن بجلاوين ، ولا تتصرّف بغير قدها الرشيق
وأنا أعرف أنها سرقت سواد عينيها من عيون الطباء ، ونهبت
صرونة قدها من أعواد البيان ؟ أنا أحب مخلوقة مقتولة اللحظ ،
مبحوحة الصوت ؟

— هي سبب نكبة آدم فلتهبط معه إلى الأرض

— يهبط وحده ، وتبقى حواء ، فما عدت عليها ذنباً

يستوجب العقاب

— هنا ما أردنا أن نصل إليه ، فقد زعم خصومك أنك

لم تراع الأمانة في عدّ أعمال حواء

— إسما ، أيها الملائكة ، إسما ، هل تظنون أن الله

يحتاج إلى من يعدّ على عباده الذنوب ؟ إنه عزّ شأنه يعلم من

سراير القلوب ما لا نعلم ؛ وهو لم يوكّنا بعد الأعمال إلا ليختبر

ما نحن عليه من الأدب والفقو ، فهو يبيّن أن نكون

جواسيس ، وهو يرجو أن نتخلق بأخلاقه فتتناهى عن أشياء

— وهل يتناهى الله عن أشياء !!

— لو حسب الله مخلوقاته بالعدل الحاسم لأهلك طوائف من

الملائكة والناس

مخادعة الله ، هلك آدم القديم بسبب الخنقة الفقهية ، وسهلك
آدم الجديد بسبب الخنقة القهية . وسنقول فيه كلمة الحق
والصدق إن دُعينا للشهادة في ساحة العدل
— تذكر أنه صاحب حواء !

— ماذا ؟

— آدم الجديد هو صاحب حواء

— لا أفهم ما تريد أن تقول

— أريد أن أقول إن آدم لن يهبط الأرض إلا ومعه حواء

— وتظن أننا نرور الشهادة من أجل حواء ؟

— أنا لا أدعو إلى تزوير الشهادة ، وإنما أدعو إلى الترفق

بمن يملك امرأة جميلة

— بهذا هلك بنو آدم الأول ، فقد كان فيهم من يخالف

أمة تعادى أمته من أجل وجه جميل ، والجمال سهم يصيب صدر

الأسد الرابض في حمي العرين

— وما رأيك في الملك الذي نظّم باقةً من أزهار الفردوس

ليتحف بها حواء ؟

— كان ذلك بوحى الله

— إنما كان ذلك بوحى الجمال

— هنا تخرج لا أرضاه

— إنما هو حساب يساق إليك

— الآدميون الأغبياء يهيمون بالجمال ، فكيف يعاب علينا

أن نهيم بالجمال ؟

— ومن أجل الجمال عصى آدم ربه طاعة لحواء ،

أفلا يستحق المظف ؟

— سأنظر في هذه القضية

— الحبيب أن تتخلّق بلا شهوات ثم تهيم بمجواء ، فاحال

آدم للظلم في حب حواء وهو مخلوق موقر بأوزار الشهوات ؟

— نهاه الله عن الانخداع لحواء وماتهاى

— كان الظن أن قهيم أن التهى لا يوجه إلا لمن تتيب

عنه دقائق الأدب الرفيع

— أتهم الملائكة بالغباوة ؟

— أتهمك وحدك

— أنا ملكٌ مثلك

أدينا الشهادة نادية حرقية . وهل يحتاج القاضي العالم بالسرائر
إلى شهود ؟ !
— ونُذنب بالكتمان ؟ !
— قد يكون الكتمان في بعض الأحوال أشرف من
البلاغ (١) !!!
— أوضح ، أوضح
— آدم متهم بالمصيان ، ولهذا الهمة إن سمحت عواقبُ
سود ، فعلياً أن تقف في صفه صادقين أو مرائين
— وماذا يقول الله ؟
— سيقول إن ستر العيوب فضيلة لا يتحلى بها غير
الملائكة والأنبياء !
« للمحدث شجون »
زكي مبارك
(١) البلاغ من معانيه الوشاية ، ومنه : « قدم فلان بلاغاً إلى النيابة
السومية » .

— من الملائكة ؟
— نعم ، من الملائكة ، الملائكة الذين يتعقبون رفيقاً من
رفاقهم فيأخذون عليه أنه قدّم باقةً من الزهر إلى حواء !
— لا تنس أنهم الملائكة الذين يرجون أن تتناسى ذنب
آدم كما نسيت ذنوب حواء !
وهنا وقف أحد كبار الملائكة وصاح :
« أيها الرفاق للصفوة
لا أحب أن نخترب في شأن آدم أكثر مما احترينا ، فلنا
مع أسلاف هذا المخلوق تاريخ ، وستكون لنا معه تاريخ ، وأنا
أدعوكم إلى الرفق به إن دميتم إلى الشهادة غيباً في ساحة العدل ،
فالسند في الشهادة يُطلب في حالة واحدة ، هي الحالة التي يقضى
فيها كتمان الشهادة بضياع الحقوق ، والترفق بآدم لن ينتصر به
باطل ، ولن ينهزم به حق ، وأنا أخشى أن يفضب الله علينا إن

سعد زغلول من قضية

ألف
عبد حسن الزيات
الحامى

عمل أدبي قانوني يبلغ حياة سعد القضائية ، ويحاول تصوير شخصيته وأجتماعاته على ضوء أحكامه التي تجلو هذه
الشخصية وتؤمى إلى أمور استطالنا بمدى في حياته السياسية ، كما ترى من أحكامه المتعلقة بالاستقلال القضائي لمصر عن الدولة
العثمانية ، والمتعلقة باختصاص المحاكم المنتظمة ، والمتعلقة بتحقيقات وأعمال رجال الإدارة ، والمتعلقة بحق الصحافة في قد
للمواطنين ، والمتعلقة بالنش والنظم في مختلف سوره ، كتظلم نظار الوقت للمستحقين ، وظلم الأوصياء والقوام للقصر والمجورين .
وإلى هنا كل إشارة إلى مواقف قضائية رائعة من مواقفه ، وإلى سبقة للشرع بقرير مبادئ لها أهميتها الكبرى .
وانتظم فصل القاضي الجنائي عرساً تفصيلياً لجملة من جنایات القتل اعمازت بطروف تثير الفكر أو تثير الماطفة .
واشتمل الكتاب فوق هذا على أحكام لغير سعد من قضاة قدامى ومحدثين مقابلة بأراء الققه في بعض الأحيان ؟
ومن هذه الأحكام وتلك — ما كان لسعد وما كان لغيره — عشرات لم يسبق نشرها قط رغم أهميتها .
يقع الكتاب في ٤١٦ صفحة من القطع الكبير ، وقد جيل ثمنه ثلاثين قرشاً صاعاً
وهو يطلب من المكتبات ، ومن مكتب مؤلفه بشارع إبراهيم باشا رقم ١٠ — ببايدن